جُمعةُ رَجَب واليمنيون

إعداد

د. خالد القروطي

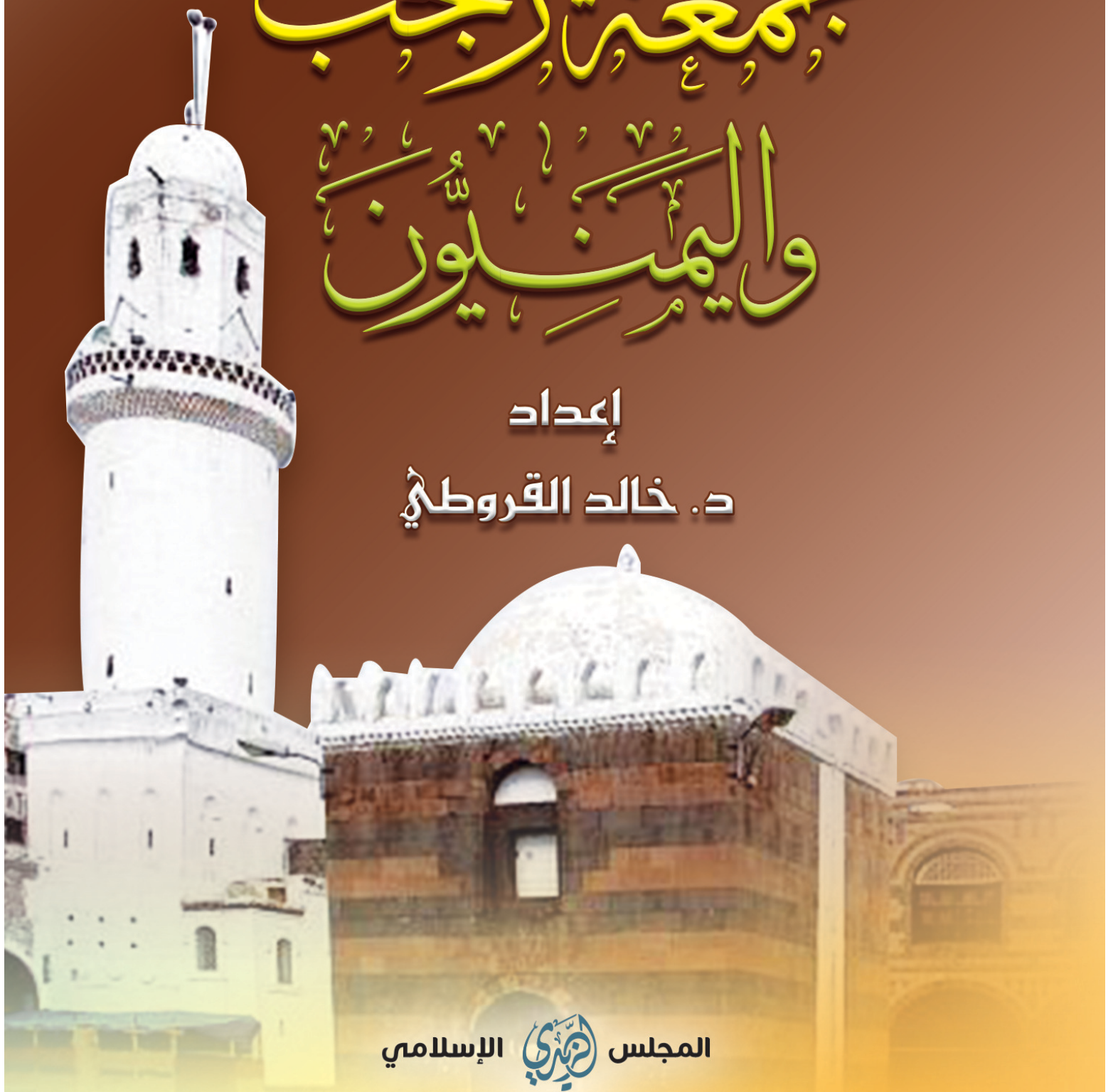

المجلس الزيدي الإسلامي

صنعاء | ١٤٣٨هـ

قال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ﴾ [المائدة:٥٤]

ولما نزلت هذه الآية..

قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم في تفسير (بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ): «هؤلاء قومٌ من أهل اليمن».

جمعة رجب واليمنيون

إعداد

د. خالد القَروطي

المجلس الإسلامي

صنعاء – ١٤٣٨هـ

محفوظة جميع الحقوق

الطبعة الأولى

١٤٣٨هـ /٢٠١٧م

تنسيق وإخراج: حفظ الله عقيل

Mobial : 774373456 – 737247737
e-mail : hefdallahageel@gmail.com

تصميم الغلاف

عابد عزان

المجلس الزيدي الإسلامي

الجمهورية اليمنية
البريد الإلكتروني zmagls5@gmail.com
الموقع الإلكتروني www.zaidiah.com
قناة التلقرام: https://telegram.me/zmagls

بسم الله الرحمن الرحيم

كانت اليمن ولا تزال لها الأثر البارز والدور الكبير في تاريخ الإسلام ومنذ بداياته الأولى.

ولا ينكِر أحدٌ دورَ اليمن أفرادا وجماعات وقبائل في الالتحاق المبكِّر والاستجابة الواضحة والمبادرة الجلية لهذا الدين والجهاد في سبيله والتضحية من أجله.

اليمنيون أول من ضحى في الإسلام

ويكفينا دلالة على ذلك أن أولَ من ضحَّى بنفسه واستُشْهِد باذلا روحَه لله هم أهل اليمن؛ إذ كان ياسر بن عامر العنسي والد عمار بن ياسر وزوجته سمية بنت خياط رضي الله عنهم وهم من أهل اليمن، كانوا من أوائل من آمَن بالله واستجاب لرسول الله صلى الله عليه وعلى آله وسلم، فعُذِّبوا لذلك أشدَّ التعذيب، ولاقوا في سبيل ذلك أشد أنواع التنكيل.

لكنهم ضربوا للمسلمين خصوصا وللعالم عموما في تلك الظروف أروعَ دروسِ الثبات، وأبلغَ آياتِ الصبر، وأصدَقَ أمثلة التضحية، حتى صارت سمية بنت خياط والدة عمار أول شهيدة في الإسلام، وهذا هو الفخر، وبهذه يُقْتَدَى وعلى نهجها يُسار.

وكان زوجها ياسر أيضا والذي استُشْهِد بعدها من أوائل الشهداء في الإسلام.

وهكذا كان لأهل اليمن حضورُهم وبروزُهم في الإسلام منذ طلوع فجره وبزوغ شمسه.

الجامع الكبير شاهدٌ على الفضل

وهذا الجامع الكبير بصنعاء قائمةٌ أعمدتُه، وعاليةٌ مآذنُه، مقامةٌ صلواتُه، عامرةٌ حلقاتُه، شاهدةٌ كلُّها بأنه بُنِيَ وشُيِّدَتْ دعائمُه بأمرٍ من رسول الله صلىٰ الله عليه وآله وسلم، ولا يختلِف اثنان أن رسول الله صلىٰ الله عليه وآله سلم هو من حدَّد لأهل اليمن مكان بنائه ومستقر أعمدته.

وهل يستطيع أحد أن يماريَ في قوله صلوات الله عليه وعلىٰ آله: (اجعلوا قبلتكم ضين)، حينما حدَّد لأهلِ اليمن عند بناء الجامع الكبير في عهده وبأمره اتجاه القبلة.

وهكذا يتبدَّىٰ لكل باحث منصف يقرأ التاريخ والسير ما لأهل اليمن من عظيم الأثر في الإسلام، وعلو المقام في الإيمان، ورصيد السبق في الاستجابة.

أول الشعوب إسلاما

وهاهم أهل السير والتواريخ ومصنفو السنن يحدِّثوننا ويروون لنا أن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم وحينما اشتد أذى قريش له، ولا سيما بعد السنة العاشرة من البعثة النبوية، ووفاة سندين عظيمين في حياته، وهما زوجته الفاضلة الطاهرة أم المؤمنين خديجة بنت خويلد عليها السلام، وأبو طالب عمه وسنده، قام صلوات الله عليه وآله وسلم بعرض نفسه على القبائل الوافدة إلى مكة في مواسم الحج لعله يجد معينا وناصرا ينصره ويعينه على القيام بأمر ربه.

ويشهد التاريخ وتتكلم الأيام والسنون أنه صلوات الله عليه وآله وسلم كلما عرض نفسه على قبيلة من قبائل العرب كانت تلك القبائل تُعْرِضُ عنه وعن دعوته وتتجنب الصدام مع قبيلته وقومه من قريش.

وهنا تبرُزُ اليمن، وهنا تتجلَّى شهامة أهله، وهنا تتبدَّى إرادة الله الخير لأهل اليمن.

حيث التقى رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم رجلا من أهل اليمن من همدان، من أرحب، وكان من وجهائهم ورؤسائهم،

فطلب منه النبي صلوات الله عليه وعلى آله نصرته وإعانته على القيام بأمر الله.

وها هي الرواية كما وردت في كتب السير والتاريخ:

وذُكِر أن رجلاً مرّ بالرسول صلى الله عليه وآله وسلم ، وهو من "أرحب" من "همدان"، اسمه "عبد الله بن قيس بن أم غزال"، فعرض عليه الرسول صلى الله عليه وآله وسلم الإسلام، فأسلم، فقال له الرسول صلى الله عليه وآله وسلم: "هل عند قومك من منعة؟"، فقال له عبدالله بن قيس: نعم يا رسول الله، واستأذن رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم أن يذهب إلى قومه وواعد رسول الله صلى الله وسلم عليه وعلى آله موسم الحج المقبل، ثم خرج من مكة يريد قومه، فلما عاد إلى قومه قتله رجل من "بني زُبَيْد".

وورد أن "قيس بن مالك بن أسد بن لأي الأرحبي" قدِم على رسول الله وهو بمكة، وقال للنبي صلى الله عليه وآله وسلم: أتيتك لأؤمنَ بك وأنصرك، فعرض رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليه الإسلام فأسلم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: " تأخذوني بما فيَّ يا همدان"، فقال قيس بن مالك: نعم بأبي أنت وأمي،

فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "اذهب إلى قومك فإن فعلوا وقبلوا فارجع أذهب معك"، ثم خرج إلى قومه فأسلموا بإسلامه، ثم عاد إلى الرسول فأخبره بإسلامهم، فقال له رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "نعم وافد القوم قيس، وفيتَ وفى الله بك"، ومسح على ناصيته وكتب له عهداً على قومه "همدان" أحمورها وعربها وخلائطها ومواليها أن يسمعوا له ويطيعوا".

وجاء وفدٌ آخَر من "همدان" إلى الرسول فأسلم على يديه، وكان فيه "حمزة بن مالك" من "ذي مشعار"، وكان على الوفد مقطّعات الحِبَرة مكفَّفة بالديباج، فكتب الرسول لهم كتاباً، وأوصاهم بقومهم من بقيه بطون همدان.

وهنا يدرك المنصف أنه وقبل بيعة الأنصار في العقبة (وهم يمنيون أيضا) كان اليمنيون قد بايعوا، وقبل أن تكون المدينة المنورة دارا للهجرة النبوية ومقرا للدولة الأولى في الإسلام كانت اليمن قد رحَّبت واستبشَرَت واستعدَّت وتهيَّأَت لتكون هي من يضطلع بأعباء ذلك، لولا أن لله خيرة ومرادا غير ذلك.

والأنصار يمنيون

وبالرغم من ظفَر الأنصار بتلك المكرُمة واختيار المدينة المنورة وسكانها من الأنصار لتلك المنقبة، فمن هم الأنصار؟ ومن هم الأوس والخزرج؟ من سيخبرنا بذلك؟ ومن سيحدثنا عن ذلك؟

أو ليسوا من اليمن، وبالتالي لازال الخير ولازالت المكرمة لأهل اليمن.

ولما كان حال اليمن واليمنيين مع الإسلام بهذه الصورة المشرِّفة فلا غرابة أن ترى أهل اليمن من أكثر المسلمين اتباعا لهذا الدين، ومن أعظم الشعوب محبة لسيد المرسلين صلوات الله عليه وعلى آله.

ولذلك تجدهم لا يتركون فرصة فيها للدين نصرة ولله ولرسوله صلى الله عليه وآله وسلم رضا إلا اغتنموها.

بل وتجدهم يبتهجون ويفرحون وحق لهم ذلك بكل يوم أو عيد أو مناسبة تذكِّرُهم بالله وتشدُّهم إلى هذا الدين وتزيدهم صلة برسول الله صلى الله عليه وآله وسلم.

ولا يدَعُون يوما أو عيدا أو مناسبة ذا صبغة إسلامية إلا استبشروا به وهبُّوا لإحيائه وسعوا لإقامته.

للشعوب أعياد

ويعلم الجميع أن للشعوب وللأمم مناسبات عديدة وأياما في تاريخها مجيدة، تمر بهم ويكون لها بالغ الأثر في واقعهم.

من هذه المناسبات والأعياد ما هو عالمي من حيث اهتمام العالم كله بها وإحيائهم لها.

فلدينا عيد رأس السنة الميلادية، وعيد الأم، ويوم المعلم، ويوم الشجرة، ويوم العمال العالمي، ويوم المرأة العالمي، واليوم العالمي لحقوق الإنسان، وعيد الحب، حتى الحيوانات أصبح لها عيد ويوم أسموه عيد الحيوان أو يوم الحيوان.

ومن هذه الأعياد والمناسبات ما هو تاريخي وطني له صلة بتاريخ هذا البلد أو ذاك الوطن أو تلك الدولة، من جهة استقلالها وتحررها، كعيد الاستقلال وعيد الثورة ويوم الوحدة.

بل بالغوا حتى أصبح هناك أيام وأعياد من قبيل عيد نشأة الدولة، ويوم جلوس الملك والرئيس على عرش البلاد، وكلها ملحوظة

مشاهدة ملموسة.

ومنها ما هو إسلامي الصبغة، ونعني بقولنا: (إسلامي) أي أن أهمية وقيمة هذا اليوم أو ذاك العيد أو تلك المناسبة جاءت من نصوص الشريعة وتقريراتها، ومن اعتبار المسلمين لها وفرحتهم بها، (وما رآه المسلمون حسنا فهو حسن)، ومعنا في هذا الجانب عيد الأضحى وعيد الفطر المباركان، ويوم الجمعة عيد المسلمين الأسبوعي، وما شرع الله فيه من البهجة والاجتماع والفرحة والتزاور والصلة والإنفاق ولبس الزينة.

كما لا ننسى فرحة المسلمين وبهجتهم على مر العصور بيوم الهجرة النبوية واعتبارهم له وتذكُّر أحداث الهجرة والاعتبار بتضحياتها والاقتباس من أحداثها، وغبطتهم بيوم المولد النبوي الشريف أخذا من حديثه صلوات الله عليه وآله وسلم حينما سأله رجل عن صيام يوم الاثنين فأجابه صلوات الله عليه وعلى آله بقوله: "كيف وقد وُلِدْتُ فيه" وفي رواية أخرى: "ذلك يومٌ وُلِدْتُ فيه"، وما يحدث في هذا اليوم من استعراضٍ وتتبعٍ لسيرة المصطفى صلوات الله عليه وعلى آله اقتداء بها وسيرا على نهجها.

ولايزال المفترون على الإسلام ومن شوَّهوا الدين وحرفوا تعاليمه يتجنون على اليمن واليمنيين بفتاواهم وكتيباتهم التي ملأت المساجد والبيوت والشوارع، وتوزع مجانا، والتي تتضمن تبديع اليمنيين واتهامهم بالشرك والكفر لاحتفائهم بنبيهم، وإحيائهم لكل مناسبة تربطهم وتذكرهم به وتشدهم إليه، بل ويمارسون الكذب والدجل والإفك والافتراء بقولهم: إن أهل اليمن يحيون هذه المناسبات بالغناء والرقص والاختلاط.

وما يجري اليوم من كذب وافتراء وبهتان على اليمن وأهله تبريرا لعدوانهم من قبيل ما سبق من جور وظلم من خلال اتهامنا بالرفض والمجوسية وسب الصحابة وأمهات المؤمنين وغير ذلك.

والله تعالى يقول: ﴿وَالَّذِينَ يُؤْذُونَ الْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ بِغَيْرِ مَا اكْتَسَبُوا فَقَدِ احْتَمَلُوا بُهْتَاناً وَإِثْماً مُّبِيناً﴾.

لليمنيين أول جمعة من رجب

وإذا كان الأمر بالنسبة للمناسبات والأعياد والأيام المشهورة كما أسلفنا، فمن حقنا كيمنيين أن نهتم بكل مناسبة كانت سببا لنجاتنا، وذكرى لهدايتنا، ومصدرا لعزتنا مما نتشارك فيه نحن والمسلمين في ذلك على سبيل العموم كالمولد النبوي والهجرة وعيدي الأضحى والفطر وغيرها.

لأن هذه الأيام والمناسبات حدَّدَتْ هويتَنا، وصحَّحَت وِجهَتَنا، وأوضحت سُبُل الخير وطرق الهداية لنا.

أوليس الإسلام لنا نعمة؟ أوليس الإيمان والهداية إليه فضل علينا من الله ومنَّة؟ أوليس مبعث محمد صلى الله عليه وآله إلينا رحمة؟ ﴿قُلْ بِفَضْلِ اللهِ وَبِرَحْمَتِهِ فَبِذَلِكَ فَلْيَفْرَحُواْ هُوَ خَيْرٌ مِّمَّا يَجْمَعُونَ﴾.

وعلى ضوء ذلك فينبغي أن تعلموا يا أهل اليمن أن لكم أعيادا خاصة بكم، ومناسبات ليست لغيركم، وأياما لم تكن ولن تكون إلا لكم.

فمن حقكم عندها أن تفرحوا، ومن حقكم أن تبتهجوا، ومن

حقكم أن تفاخِروا بها العالم أجمع.

يا أهل اليمن: خُصِّصْتُم بيومٍ لا يشارككم فيه أحد، وبعيدٍ لا ينافسكم فيه أحد، وبذكرىٰ لا يدعيها غيرُكم ولا سواكم أحد.

إنه أول جمعة من رجب سنة عشر من الهجرة النبوية.

في هذا اليوم دخل آباؤنا في دين الله أفواجا.

في هذا اليوم هدىٰ الله آباءنا للإسلام ذكورا وإناثا.

ولذلك فلا يجوز لنا نسيان هذا اليوم، ولا يحق لنا نكران فضل الله علينا.

فمن ينسىٰ ماضيه المشرق وتاريخه المتألق جديرٌ بأن لا يكون له حاضر مشرق ولا مستقبل مزهر.

في أول جمعة من رجب

وردت أنباء الخير من اليمن، ورفرفت أعلام الإسلام من اليمن، وحلت نسائم البركة علىٰ اليمن، وحلَّقت أدلة الفقه في سماء اليمن، وعطَّرت رياحين الحكمة أرجاء اليمن، وجاء نصر الله والفتح من اليمن.

في أول جمعة من رجب

ضرب أهلُ اليمن للعالَمِ أروعَ الأمثلة وأبلغَ الدروس في

الاستجابة لله ورسوله، وسطَّر اليمنيون أنصع صفحات تاريخهم، وأجمل صور امتثالهم، وأبلغ دلالات استجابتهم.

في أول جمعة من رجب

حقَّق أهلُ اليمن صِدْقَ إيمانهم، وأبانوا حقيقة إسلامهم، بإيمانهم طواعية ورغبة لا خوفا ورهبة، فلم يحتاجوا إلى قتال ولا إلى سفك دماء كما صنع غيرهم برسول الله صلوات الله عليه وآله، ووقفوا في وجه دعوته.

ففي السنة العاشرة (وفي بعض المصادر التاسعة) من الهجرة النبوية بعث رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم عليا عليه السلام إلى اليمن، وكان قد أرسل قبله خالد بن الوليد إليهم يدعوهم إلى الإسلام فلم يجيبوه، فأرسل عليا ووجَّه له كتابا إليهم، وأمره أن يقرأ عليهم كتاب رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم، فجمعهم علي عليه السلام وقرأ عليهم كتاباً من رسول اللهّ صلى الله عليه وآله وسلم، ودعاهم إلى الإسلام فأسلموا جميعاً، وكتب علي عليه السلام ببشارة إسلامهم إلى رسول صلى الله عليه وآله وسلم، فلما قرأ الكتاب خرَّ صلى الله عليه وآله وسلم ساجداً، شكرا لربه على نعمة إسلامكم، ثم

رفع رأسه فقال : (السلام على همدان، السلام على همدان).

ولما أتاه صلى الله عليه وآله وسلم وفدٌ من أهل اليمن قلَّدهم وإياكم وساما، ستظلون تفخرون به أبد الدهر حينما قال لمن عنده: "أتاكم أهل اليمن"، هكذا أعلنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم في أصحابه، ولكم ولهم أن تتساءلوا مالهم؟ ما الذي جرى لهم؟ ما صفاتهم؟ ما ميزاتهم؟

فيقول صلى الله عليه وآله وسلم: "أتاكم أهلُ اليمن، أرق الناس قلبا وألينهم أفئدة".

وكررها صلى الله عليه وآله وسلم مرارا وتكرارا حينما بعث معاذ بن جبل إلى اليمن فقال له: "يا معاذ: بعثتك إلى قومٍ رقيقة قلوبهم، يقاتلون على الحق مرتين".

فلإسلامكم دفعة واحدة، وبرسالة محمدية، ودعوة علوية دونما قتال ولا دماء كافأكم الله ورسوله بما تستحقونه، وما يجب أن تحافظوا عليه وتفاخروا به ولا تنسوه.

ذلك حينما أعلنها النبي صلى الله عليه وآله وسلم: "الإيمان يمان والحكمة يمانية"، ونبَّه صلوات الله عليه وعلى آله على قضيةٍ غايةٍ في

الخطورة والأهمية، وهي ملموسة مشاهدة، أن هناك من سيسعى لأن يطعن ويقدح في أهل اليمن ويقلِّل من شأنهم، فقال صلى الله عليه وآله وسلم في حقِّ أهل اليمن: "يريد أقوامٌ أن يضعوهم، ويأبى الله إلا أن يرفعهم".

يأبى الله إلا أن يرفعهم.

اليمن مهوى العلماء والفقهاء

ولذلك ولَّما فقِه علماء الأمة هذه النصوص الصريحة الواضحة علموا أن اليمن منبع الإيمان والفقه والحكمة، فهاجروا أفرادا وجماعات إلى اليمن ليتفقَّهوا على علمائه، وينهلوا من معين فقهائه.

وها هو الشافعي يقولها:

لابد من صنعاء وإن طال السفر ... ونقصد القاضي إلى هجرة دبر

حينما ذهب إلى اليمن ليقرأ ويتفقه على عالمها الجليل إسحاق بن إبراهيم الدبري.

وهاهم كبار المحدثين من أمثال أحمد بن حنبل ويحي بن معين يهاجرون إلى اليمن من العراق لينهلوا من علوم العالم اليمني الجليل والمحدث المشهور عبدالرزاق بن همام الصنعاني.

كما قال صلى الله عليه وآله وسلم في حق أهل اليمن: "يطلع عليكم أهل اليمن كأنهم السحاب هم خيارُ مَنْ في الأرض"، فقال رجل من الأنصار: إلا نحن يا رسول الله؟ فسكت، ثم أعادها، فسكت، ثم أعادها الثالثة: إلا نحن يا رسول الله؟ فقال صلى الله عليه وآله وسلم كلمة ضعيفة: "إلا أنتم".

ثناء خاص

ووردت مناسبات أثنى فيها رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم على قبائل خاصة من أهل اليمن مثل:(همدان)، حيث قال فيهم: (نعم الحي همدان، ما أسرعها إلى النصر، وأصبرها على الجهد).

ومعروف أيضا أن القرآن الكريم أثنى على أهل اليمن في مواطن كثيرة، وهناك روايات تفسر بعضا من آيات القرآن على ذلك النحو، من ذلك ماروواه أهل التفاسير في تفسير قوله تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُواْ مَن يَرْتَدَّ مِنكُمْ عَن دِينِهِ فَسَوْفَ يَأْتِي اللّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ أَذِلَّةٍ عَلَى الْمُؤْمِنِينَ أَعِزَّةٍ عَلَى الْكَافِرِينَ يُجَاهِدُونَ فِي سَبِيلِ اللّهِ وَلاَ يَخَافُونَ لَوْمَةَ لآئِمٍ ذَلِكَ فَضْلُ اللّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللّهُ وَاسِعٌ عَلِيمٌ**﴾ [المائدة: ٥٤]، قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هم قومُ هذا"، وأشار إلى أبي موسى الأشعري، وفي رواياتٍ أخرى أنه لما نزلت هذه الآية قال رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم: "هؤلاء قومٌ من أهل اليمن".

ولذلك ولما سأل عمر بن عبدالعزيز العالم الكبير محمد بن كعب

القرظي وأرسل إليه يسأله عن تفسير قوله تعالى: ﴿فَسَوْفَ يَأْتِي اللَّهُ بِقَوْمٍ يُحِبُّهُمْ وَيُحِبُّونَهُ﴾ الآية، قال محمد بن كعب: هم أهل اليمن، فقال عمر بن عبدالعزيز بعد ذلك: يا ليتني كنت منهم.

يتمنى أن يكون منكم يمنيا يا أهل اليمن.

بينما نجد بعضا من أهل اليمن وللأسف يستوردون الأفكار والخطباء والفقه من غيرنا ونحن أهل ذلك كله ومنبعه.

وها هو رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله يُعْلِنها ويفاخِر بها قائلا: "خيار الرجال رجال أهل اليمن، والإيمان يمان، وأنا يمان"، ورسول الله يقولها وأنا يمان.

ليس هذا فحسب بل ها هو رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله ينتظركم يا أهل اليمن على الحوض: "إني لبعقر الحوض أذود الناس لأهل اليمن، أضرب بعصاي حتى يرفضَّ عليهم"، أي يسيل عليهم.

فأيُّ فضلٍ؟ وأي منقبة بعد هذا الفضل العظيم؟ حينما يكون رسول الله حارسا لحوضه، لا يأذنُ لأحدٍ بالشرب والورود عليه قبل أهل اليمن.

فليسمع العالم كلُّه صوتَنا، وليعرِفِ الجميع أن ﴿ذَلِكَ فَضْلُ اللَّهِ يُؤْتِيهِ مَن يَشَاءُ وَاللَّهُ ذُو الْفَضْلِ الْعَظِيمِ﴾، ﴿أَمْ يَحْسُدُونَ النَّاسَ عَلَى مَا آتَاهُمُ اللَّهُ مِن فَضْلِهِ فَقَدْ آتَيْنَا آلَ إِبْرَاهِيمَ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَآتَيْنَاهُم مُّلْكاً عَظِيماً﴾.

كما ورد في بعض التفاسير أن المقصود بقوله تعالى: ﴿وَإِن تَتَوَلَّوْا يَسْتَبْدِلْ قَوْماً غَيْرَكُمْ ثُمَّ لَا يَكُونُوا أَمْثَالَكُمْ﴾ [محمد: ٣٨]، هم أهل اليمن.

يا أهل اليمن

يا أهل الطاعة والإيمان والحكمة، يا أهل الفقه، يا أحباب رسول الله يقول فيكم رسول الله صلوات الله عليه وعلى آله مخاطِبا أمتَه وموجِّها لها: «إذا هاجت الفتن فعليكم باليمن فإنها مباركة»، ويقول صلى الله عليه وآله وسلم: «عليكم باليمن إذا هاجت الفتن، فإن قومه رحماء، وإنّ أرضه مباركة، وللعبادة فيه أجر عظيم».

وبعد هذا كلِّه أيصح أن نصبح ونمسي تابعين لغيرنا، مستوردين لفكرنا، مهملين لدورنا، متناسين لمكانتنا.

ألم يخلِّد اللهُ ذكرَ اليمن وأهله بركن من أركان بيته العتيق، ندب لكل حاج ومعتمر أن يستلمه ويقبله، ألم تسمعوا بالركن اليماني.

وقد أشار النبي الكريم صلوات الله عليه وعلى آله وهو يتحدَّث عن فضل اليمن ومكانة أهله وما ميَّزهم به أشار إلى ضرورة الحذر ممن سيُسَخِّر جهده للغواية، ويستنفذ كل طاقاته للإضلال، حينما قال صلوات الله عليه وعلى آله: «الإيمان يمانٍ والفتنة هاهنا، هاهنا يطلع قرن الشيطان»، وفي رواية أخرى: « الإيمان هاهنا وأشار بيده إلى اليمن».

فهل يعقل بعد كل هذا الفضل والنعمة من الله ورسوله، بعد كل هذا البيان أن يُصبح اليمن ضلالا وشركا وبدعة، وممن؟ ممن أكَّد النبيُّ صلوات الله عليه وآله أنهم قرن الشيطان ومنبع الفتنة.

التعيُّد بجمعة رجب

لذلك لزاما علينا كيمنيين تذكر هذا اليوم العظيم (أول جمعة من رجب)، والحرص على إظهار نعمة الله علينا فيه، وكما كان إلى زمن قريب من اتخاذ آبائنا له عيدا كسائر الأعياد، يتزاورون، ويتبادلون التهاني والهدايا، ويَصِلون فيه الأرحام، ويُظْهِرون نعمة الله فيه، كذلك يجب أن نكون إن لم نزد على ذلك.

وكما كان لكم يا أهل اليمن المواقف المشرِّفة مع الله ورسوله صلى الله عليه وعلى آله، والجهاد في سبيله، وإقامة عموده.

كذلك كانت ولا زالت لكم مواقفكم العظيمة، في ثباتكم وجهادكم مع آل بيت النبوة وأعلام الهداية ومعدن الرسالة.

شغف اليمنيين بأهل بيت رسول الله

ولأن محبة آل البيت واتباعَهم من أبلغ دلالات الإيمان، وأعظم مصاديق التسليم لله ولرسوله، فقد كان لكم ارتباطكم القوي بشخصية الإمام علي عليه السلام منذ لحظة إسلامكم على يديه وإلى الآن.

وسجّلت الذاكرة الشعبية اليمنية حضورا قويا للإمام علي في مناطق مختلفة من اليمن، ولا زال الناس ينسبون مناطق وعيونا وآبارا وآثارا إليه فمنها مثلا:

عين علي، وضربة علي في بعض مناطق حجة، وهناك المعقر في تهامة، حيث اعترضه أهلها وعقروا بغلته فسمي الموضع (المعقر)، كما يروى أنه وصل عدن أبين وأنه خطب على منبرها خطبة بليغة.

وهي جميعا تعكس الحالة الوجدانية لأهل اليمن تجاه هذه الشخصية التي ولِع الناسُ بها قديما وحديثا، وصارت الأنموذج المتجسد في الشجاعة والقضاء والعدالة والمساواة.

وهناك أماكن أخرى سميت باسم الإمام علي إما تيمنا باسمه أو حبا فيه وتعلقا به، أو أنه فعلا وصلها لكن التاريخ لم يسجِّل لنا ذلك.

الإمام علي يضع تاج المجد على رؤوسنا

ولثباتكم مع الحق المتمثل في أمير المؤمنين علي ووقوفكم معه لا تحيدون عنه، توّج الإمام علي عليه السلام أجدادكم همدان الذين أبلوا معه بلاء حسنا في الجهاد والنصرة في صفين فمدحهم بتلك القصيدة التي ظلَّت ولا تزال تاجا على رؤوسهم حيث يقول معدِّدا أحياء همدان ومآثرَها يوم قاتلت معه قتال الأبطال، ومؤكِّدا أنهم يحبون النبي ورهطه:

ولما رأيت الخيل تقرع بالقنى ... فوارسها حمر النحور دوامي

ونادى ابن هند في الكلاع ويحصب ... وكندة في لخمٍ وحيٍّ جذام

تيمَّمتُ همدان الذين هُمُ هُمُ ... إذا ناب أمرٌ جُنتي وسهامي

فناديت فيهم دعوة فأجابني ... فوارسُ من همدان غيرُ لئام

فوارس ليسوا في الحروب بعزّل ... غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن أرحبِ الشُم المطاعين بالقنا ... ورُهْمٍ وأحياءِ السبيع ويام

ووادعة الأبطال يخشى مصالها ... بكل صقيل في الأكف حسام

ومن كل حيٍ قد أتتني فوارس ... كرامٌ لدى الهيجاء أي كرام
يقودُهم حامي الحقيقة ماجدٌ ... سعيدُ بنُ قيسٍ والكريم محامي
بكل رُدَيني وعَضْبٍ تخاله ... إذا اختلفَ الأقوامُ سيلَ عرام
فخاضوا لظاها واصطلوا حرَّ نارها ... كأنهمُ في الهيج شربُ مدام
جزى الله همدانَ الجنان فإنهم ... سمامُ العِدا في كل يوم سمام
لهم تعرفُ الراياتُ عند اختلافِها ... وهم بدأوا للناسِ كلَّ لحام
رجالٌ يحبون النبيَّ ورهطَه ... لهم سالفٌ في الدهر غير أيام
همُ نصرونا والسيوفُ كأنها ... حريقٌ تلظَّى في هشيم ثُمام
لهمدانَ أخلاقٌ وديـنٌ يزينها ... وبأسٌ إذا لوقوا وحدٌّ خصام
وجدٌّ وصدقٌ في الحديث ونجدة ... وعلم إذا قالوا وطيب كلام
فلو كنتُ باباً على باب جنةٍ ... لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

وكفى بها فخرا، وأنعم بها مزية، منحكم إياها أمير المؤمنين عليه السلام في صفين حينما قالها وأعلنها على الملأ:

(يا معشر همدان أنتم درعي ورمحي، وما نصرتم إلا الله ورسوله، وما أجبتم غيره)، فأجابه رؤساء همدان من أمثال سعيد بن قيس، وزياد بن كعب الأرحبي قائلين: (أجبنا الله ورسوله وأجبناك،

ونصرنا الله ورسوله ثم إياك، وقاتلنا معك من ليس مثلك، فارم بنا حيث شئت).

الأمر الذي أثار غيرة عامر بن قيس العبدي، وهو فارس القوم، فقام وقال: يا أمير المؤمنين إذا رُمْتَ بهمدان أمراً فاجعلنا معهم، فإنا يداك وجناحُك، فقال عليه السلام: (وأنتم عبد القيس سيفي وقوسي)، فرجع بها العبدي إلى قومه.

يا أهل اليمن:

وكما كان للنبي صلوات الله وعلى آله أصحاب هاجروا وضحَّوا وجاهدوا وبذلوا منكم من آبائكم الأنصار، فكذلك بيَّضتم وجوه أبنائكم في صدق صحبتكم وجهادكم مع آلِ بيت نبيكم وإلى اليوم.

وسلوا التاريخ من هم الذين فضَّلوا التضحية بأنفسهم وقطعِ رؤوسهم على أن يسبوا ويتبرؤوا من أمير المؤمنين علي.

أو لم يكن منكم حِجر بن عدي الكندي المقتول هو وأصحابه العشرة وابنه ظلما بسبب محبتهم لآل البيت النبوي.

أو لم يكن منكم مالك بن الأشتر النخعي الذي كان يدًا يُمنى

للإمام علي بن أبي طالب وأحسن له الصحبة.

حتى أن الإمام عليا بكى عليه يوم وفاته وقال كلمته المشهورة فيه: " لقد كان مالك مني كما كنتُ من رسول الله صلى الله عليه وآله وسلم"، وقال فيه أيضاً: "إن مالك بن الحارث قد قضى نحبه، ووفى عهده، ولقي ربه، رحم الله مالكاً، ومَا مالك؟! لو كان حديداً لكان فنداً - أي صليباً شديداً -، ولو كان حجراً لكان صلداً، رحم الله مالكاً، وهل مثل مالك؟ وهل قامت النساء عن مثل مالك؟ وهل موجود كمالك؟ ثم قال: أما والله إن هلاكه قد أعزَّ أهل المغرب وأذلَّ أهل المشرق".

وسلوا المؤرِّخين وأهل السير بأي بلد نصح ابن عباس ومحمد ابن الحنفية الحسين بن علي عليهما السلام قبل أن يتوجَّه إلى كربلاء، حيث نصحاه بالتوجه إلى اليمن وقالا له: "وإلا فسر إلى اليمن فإن به حصونا وشعابا، ولأبيك به شيعة".

الإمام الهادي وثناؤه على اليمنيين

وفيكم وفي آبائكم يقول الإمام الهادي يحيى بن الحسين حينما قام أجدادكم بنصرته والجهاد معه:

تحف به خيلٌ يمانية لها ... على الهول إقدامٌ ليوثٌ طوالب

قُرُوم أجابوا الله حين دعاهمُ ... بأيمانهم بِيضُ حِداد قواضب

فما زالت الأخبار تُخْبِر أنهم ... سينصرنا منهم جيوشٌ كتائبُ

وناديت همداناً وخولان كلَّهم ... ومذحِجَ والأحلافَ والله غالب

تذكِّرني نيأتُهم خيرَ عصبة ... من الناس قد عفَّت عليها الجنائب

منَ اصْحابِ بدر والنضير وخيبر ... وأُحدٍ لهم في الحق قدماً مناقب

فلله دركم يا أهل اليمن:

كنتم إلى الإسلام سباقين، ولدعوة نبيكم صلى الله عليه وآله وسلم مستجيبين، وإلى ساحات الجهاد في سبيل دين الله ماضين، ولآل بيت نبيكم متبعين وحامين، ولآثارهم مقتفين، ولنهجهم سالكين.

وما تقومون به اليوم من جهاد وصمود وثبات وإنفاق وبذل وتضحية لخير دليل على ماضيكم، وأكبر شاهد على ما قد ورد فيكم.

مُحْتَوَيَاتُ الكِتَابِ

اليمنيون أول من ضحى في الإسلام..... ٤
الجامع الكبير شاهدٌ على الفضل..... ٥
أول الشعوب إسلاما..... ٦
والأنصار يمنيون..... ٩
للشعوب أعياد..... ١٠
لليمنيين أول جمعة من رجب ١٣
اليمن مهوى العلماء والفقهاء ١٨
ثناء خاص ١٩
التعيُّد بجمعة رجب ٢٣
شغف اليمنيين بأهل بيت رسول الله..... ٢٤
الإمام علي يضع تاج المجد على رؤوسنا..... ٢٥
الإمام الهادي وثناؤه على اليمنيين..... ٢٩

تيمَّمْتُ همدان الذين هُمُ هُمُ

إذا ناب أمرٌ جُنتي وسهامي

فوارسُ ليسوا في الحروب بعُزَّل

غداة الوغى من شاكر وشبام

ومن أرحبِ الشُم المطاعين بالقنا

ورُهْمٍ وأحياءِ السُّبيع ويام

ووادعةَ الأبطالِ يخشى مصالها

بكل صقيل في الأكف حسام

رجالٌ يحبون النبيَّ ورهطَه

لهم سالفٌ في الدهر غير أيام

لهمدانَ أخلاقٌ ودينٌ يزينها

وبأسٌ إذا لوقوا وحدٌّ خصام

وجِدٌّ وصِدْقٌ في الحديث ونجدة

وعلم إذا قالوا وطيب كلام

فلو كنتُ بواباً على باب جنةٍ

لقلت لهمدان: ادخلوا بسلام

الإمام علي عليه السلام

أول جمعة من رجب الأصب ١٤٣٨هـ

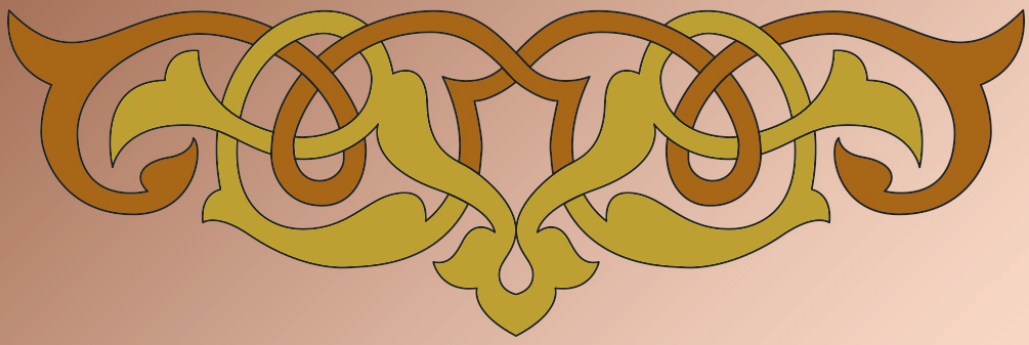

المجلس الزيدي الإسلامي

صنعاء | ١٤٣٨هـ